

اسم المصدر : الرياض

التاريخ: 2014-12-26 رقم العدد: 0 رقم الصفحة: 26 مسلسل: 136 رقم القصة: 1

موقف تاريخي من ملك استثنائي في منعطف خطير وفاضل في مسيرة الأمة

معالم خالدة في موقف الملك المفدى في الإصلاح بين الشقيقتين مصر وقطر



أ.د. سليمان بن عبدالله أبا الخليل *

نحمدك الله على نعمك، ونشكر على عظيم الألائك، ونصلي ونسلم على خاتم رسلك وصفيك وخليك، وبعد: فواقع أمة الإسلام والعرب واقع محزن، والمتغيرات التي تمر بنا هي مهددات لوحدة أوطان المسلمين، تداعت الأمم على، والأخطر في هذه المرحلة تلك الانقسامات والفرقة التي تحصل بين الأشقاء، والتأزم الذي يكون في المواقف، لأن آثارها في ظل ما أشرنا إليه بعيدة المدى، وفي خضم هذه النزاعات والتحويلات تبرز الأهمية البالغة لموقف حكيم، ورأي سديد، وإسهام يجمع الكلمة، ويؤلف الصف، ويقطع الطريق على المتربصين، وهذا ما رأيناه في هذا العصر المبارك والعهد الميمون الذي امتن الله علينا فيه بيامام قد، ووال عادل، وحاكم حكيم بل هو عرب الحكمة ورائدنا، رأينا في عهده الميمون المبادرات العالمية، والإسهامات النوعية التي صارت تطرح منطلقاً للأعمال الدولية، وأصبحت الدول العظيمة تحسب لموقف مملكتنا الغالية بقيادته وحكمته، وتنظر إلى ما ينسجم مع ذلك، وهذا شأن برز في المبادرات التي أطلقها للحوار بين أتباع الديانات، والحوار المذهبي، والحوار الداخلي، وفي دعم كل قضية للعرب والمسلمين، في شتى الأقطار العربية والعالمية، ويسجل التاريخ، وتسطر أحرفه وتحدث صحائفه في هذا المنعطف بمواقف ومبادرات تتجاوز بها أمة العرب والإسلام ما حل ويحل بها، وتستعيد بها مكاثتها وموقعها اللائق بها، ففي فترة مضت مرت مصر العروبة بأحداث ومتغيرات كادت أن تدخلها في أتون الفتن والمشكلات، وكانت بعض المواقف التي أشرت على علاقتها ببعض الدول، فكانت المملكة حاضرة بتبليغها وتأثيرها وسداد رأي ولاة أمرها ليكون في مثل هذه المواقف ما يرضي الله عز وجل ويحمي وحدتها من الخلل والفرقة- تفاعلا مع تلك الأحداث بما لا يشكل تدخلاً بشؤونها وأحوالها، وإنما يدعم المواقف التي تراعي الأبعاد المختلفة، وتستمر المواقف من عظمة الرجال، لأن تاريخ العظمة لا تصنعه الكلمات وإنما تصنعه الأفعال والمواقف الكبار، وإن عظمة المواقف من عظمة أصحابها، فها هو خادم الحرمين الشريفين يسطر موقفاً آخر ويسجله له التاريخ وذلك في الإصلاح بين الشقيقتين مصر وقطر، ليعكس عظمة قائد قطعت لها، ومكانة دولة عريقة، وكرم شعب أبي أصل، وعقيدة إيمانية صافية راسخة، ووعي كامل بكل ما يحاك لأمتنا الإسلامية والعربية من مكائد ومؤامرات ووسائل تفرق وحدتها وتشق صفها، وليؤكد بهذا الموقف أن المملكة العربية السعودية دولة الإسلام المباركة، وستبقى أيد الدهر ذلك المركز الديني والحضاري الذي تفهوا إليه قلوب المسلمين من كل مكان، حيث أكرمها الله سبحانه وتعالى بجمع كلمتها تحت راية التوحيد الخالدة "إله إلا الله، محمد رسول الله" فكلمة التوحيد هي الأساس الذي قامت عليه هذه البلاد شعراً ومنهجاً، وأصلها لحياتها ولنظام الحكم فيها، كما قامت على خدمة كتاب الله وسنة رسوله وتطبيق شرع الله في كافة شؤونها، وخدمة قضايا العرب والمسلمين من ثوابتها التي لا تحيد عنها منذ أن قبيض لها من يجمع شتاتها، ويوحد أجزاءها، ويرفع كلمة الله فيها، ويتخذ من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - دستوراً لها، ومنهج حياة يطبقه في جميع شؤونها، ويتعهد بالدعوة إلى الله، وخدمة المسلمين في كل أنحاء العالم. إنه مؤسس المملكة العربية السعودية، الإمام الراشد والمك الصالح عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود - طيب الله ثراه - الذي أرسى قواعد هذه البلاد على الأصول عقيدة التوحيد الخالص، وحظ لها المنهج السليم الذي تسير عليه، فجزاه الله خيراً، وأجزل له المثوبة، وأسكنه مسير، جناته. ثم سار أبناؤه البررة على منهجه، فتابعوا المسير، فلم يغيروا أو يبدلوا حتى آل الأمر إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - فحمل راية هذه البلاد بقوة، وتمسك - حفظه الله - بثوابتها، وشيّد معالم نهضة شاملة أبهرت العالم، غلغها بإنسانية فريدة شملت أمم الأرض فضلاً عن أمة الإسلام.

ولما كان الإسلام ولا يزال وسيظل - بإذن الله - أهم العوامل المؤثرة في مسيرة هذه الدولة المباركة وفي تحديد رسالتها وأهدافها وسياساتها فقد سعت ومنذ نشأتها إلى حشد وتكريس قدراتها ومواردها وتسخيرها لخدمة قضايا الأمة الإسلامية، وتحقيق أسباب ترابطها وتضامنها استناداً إلى حقيقة الانتماء إلى عقيدة واحدة، وأن التكافل

والتضامن الإسلامي هو السبيل لاستعادة المسلمين لمكانتهم وعزتهم.

وإن الموقف التاريخي الذي قام به خادم الحرمين الشريفين - أيده الله - ليدل على عمق العلاقة التاريخية مع مصر الشقيقة منذ عهد المؤسس - طيب الله ثراه - فالمملكة شرفها الله بحمل رسالة الإسلام الخالدة التي أنارت العالم أجمع.. ومصر التي أثرت التاريخ بما قدمت من معالم الحضارة قطبان كبيران في العمل العربي والإسلامي الموحد.

فمصر هي وصية المؤسس الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - حيث وضع جنود هذه العلاقة فقال: (وما كنا لننسى مصر الكريمة وصلاتها بشقيقتها المملكة العربية السعودية فكان

من حظ البلدين توثيق الروابط بينهما وتوحيد جهودهما في سياستها وإقامة تعاون بينهما على أوثق الدعام).

كما قال حرصاً على تقوية العلاقات مع مصر حيث قال: (إن العلاقة بمصر وتوثيقها هي قوة وأمل لجميع العرب) وقال: «لا عرب بدون مصر ولا مصر بدون عرب»، (ومر لا شك فيه أن المملكة ومصر كان لهما الدور الرئيس آنذاك وحتى اليوم في قيادة العالم العربي.

وقد سجل تاريخ العلاقات بين البلدين الشقيقين اهتمام أبناء الملك المؤسس بتنفيذ هذه الوصية، وخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز له مواقفه المشرفة تجاه مصر وأهلها.

وبالأمس القريب يتذكر الجميع الوقفة الشجاعة لخادم الحرمين الشريفين - أيده الله - في إزالة الخلاف مع مصر في كلمة تاريخية اشتملت على دلالات ومعالم ومضامين قطعت كل طريق على أرباب الباطل الحاقدين الذين يريدون تمزيق الأمة والقضاء عليها، ولقد تجلّى ذلك حين قال لوفد مصر الشقيقة آنذاك: "إن التاريخ المشترك بين بلدينا والقائم على وحدة الدين والنصرة في الحق ليس صفحة عابرة يمكن لأي كائن من كان أن يعبت بها، بل هو بالنسبة لنا أولوية لا تقبل الجدل أو المساومة عليه، أو السماع لأي فعل أن يلبغيها أو يهيمشها"

هكذا تجلّى عظمة القائد، ويبرز وعيه العميق، وصدق إيمانه الراسخ بسمو العلاقة التاريخية بين المملكة العربية السعودية وشقيقتها مصر، تلك العلاقة القائمة على أسس راسخت رسوخ الجبال الرواسي وأعظم هذه الأسس: وحدة الدين والنصرة في الحق، والتاريخ المشترك بين البلدين لهو خير شاهد على ذلك.

وقطر إحدى منظومة دول الخليج العربي، ولها أثرها العميق في وحدة الخليج والعرب والمسلمين، فهي إذا ليست علاقة عابرة بين منظومة هذه الدول مجرد المصالح المشتركة وإنما هي علاقة دينية إسلامية تدور في فلك الحق، فديننا الإسلامي يدعونا للوحدة والاعتصام بحبله المتين يقول الله تعالى: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا" ويقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أؤمنون تنكافوا دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم" ويقول صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحسنى والسهر).

وقد برهن خادم الحرمين الشريفين - أيده الله - بحق عن عمق العلاقة التاريخية بوضع أساسها المتين القائم على "وحدة الدين ونصرة الحق"

ثم - أيده الله بتوفيقه - بأن الخلاف بين الأشقاء الذين جمعتهم وحدة الدين والنصرة ليس من الخلاف المذموم الذي يفرق ولا يجمع، وإنما هو عتاب الأشقاء فالعلاقة بين المملكة وأشقاؤها وجيرانها تقوم على أساس العتاب لا الخصومة يقول - أيده الله - : فهي تقوم في

الإسلامي والسمات العربية الأصيلة، ومواقف النخوة والشجاعة، ولذا يشعر كل مسلم وكل مواطن بالفخر وهو يقرأ هذه الكلمات النابعة من القلب، والتي لها دلالاتها الأكدية على الشعور بشعور الجسد الواحد، والسعي للهدف الأسمى، والتوحد ضد المخاطر التي تهدد جسم الأمة العربية الإسلامية، والحرص على مصر العروبة والإسلام، وقطر الجوار والإخاء، لتعود المياه إلى مجاريها، وتنظما في وحدة الصف العربي، ومسؤوليتنا تجاه هذا الموقف القوي الصارم الشجاع الصادق بالحق، الذي نرى قوته فيما تضمنه من حكم وأحكام موافقة لهذا الشرع، ويمكن تأصيل فقراته بما لا يسع المجال لتفصيله هنا مما يعلمه أهل العلم، وإذا كان بهذه المثابة فإننا مسؤولون أمام الله أن نقرأ ما فيه من معانٍ ودلائل؛ لأنها مما جاء به الدين، وصادرة من ولي أمرنا الذي أمرنا بالاجتماع إليه، والسمع والطاعة له، والتعبد لله بذلك، وأن نتوحد خلفه فيما يتخذه من مواقف تأكيداً لهذه الأصول التي ذكرناها في صدر هذا المقال، وأن يكون قدوتنا في هذا علماؤنا ودياننا ونخب مجتمعنا من مسؤولين، فإن المسؤولية لا تنحصر في الفتيا والبيان، وتحقيق هدف الدولة في المؤسسة المعينة، وإنما كل أولئك نخب المجتمع وقداوته، وقد اهتمهم الله على مصالح في الدولة، والمصالح الكبرى التي تخدم وحدة هذا الوطن في مقدمة هذه المسؤوليات، ولذا يجب عليهم من البيان والتوضيح وربط المجتمع بولاية أمرهم ووطنهم ما لا يجب على غيرهم، وذلك بصورة واضحة، وبشفافية عالية، وطرق والأساليب حكيمة مقننة تعزز مقاصد الشرع في التوحد والاجتماع والألفة، كما أن المبادئ الشرعية وقنوات التوعية والإرشاد، ومؤسسات التربية والتنشئة عليها من المسؤولية ما لا يخفى، كيف لا وفئات المجتمع تتلقى الخطاب الشرعي من خلالها، فالمناير تأثيرها لا يخفى، وقوة الخطاب فيها إلزام الشرع بالإلتزام إليها، ولا سيما منبر الحرمين الشريفين الذي ينتظره المسلمون في العالم، ومسؤوليتها في أوقات الفتن والأزمات أعظم من غيرها، ومؤسسات التربية تصنع عقول الشباب، وتوجههم لما ينفع في الدين والدنيا، ومن أعظم ما يضرهم أفكار الجماعات والتأثير عليهم بالعواطف، وتشويه صورة وطنهم وتجريتهم على نقد ولاية أمرهم وعلماؤهم، واتخاذ مواقف بناء على ذلك، فالمسؤولية تجاه هؤلاء الناس من خلال مؤسسات التعليم والتعليم العالي كبيرة،

أما مؤسسات الإعلام فهي القوة الناعمة، والحرك الفاعل، المؤثر القوي على العقول، ولذا فالمسؤولية عليها عظيمة وتجسد هذه المسؤولية يجب أن يشمل كافة قنوات التأثير المرئية والمسموعة والمقروءة، وشبكات التواصل الاجتماعي وغيرها، وعندي أن هذه الوسائل إذا استقطبت العلماء المؤثرين، والمسؤولين في قطاعات الدولة، والديانة الناصحين، وتوالت مشاركتهم في إطار ضامون هذا الخطاب مع ما يصاحب ذلك من ديانة ونصح فإننا سوف نجني من ذلك خيراً عظيماً، وسيجد المجتمع بفئاته أنهم أمام أصول شرعية يتقونها بكافة وسائل وأساليب التأثير، وهذا سيقطع الطريق على المزايدين والمشككين وغيرهم ممن يرون مصلحتهم في استهداف وحدة هذا الوطن الغالي وأمنه، والتشكيك فيما يتخذه ولاية الأمر من مواقف ومبادرات.

وأخيراً: ما سطرته هنا جزء من هذا الواجب، والمسؤولية عظيمة، والخطاب تاريخي استثنائي يحتاج مضمانيه لمواجهة دعاة الفرقة والفتنة والاختلاف، ونحن نقول للميكنا المفدى وإمامنا الموفق، نصحت فأسعيت، وقلت فوفقت وسددت، وقولك التابع من قلبك الكبير لأمس شغاف قلوب الملايين، وأصلحت ففعم العمل ونعم النتيجة، فسر ونحن معك وأرواحنا فداء لديننا ووطننا وستهزم قوى الظلام والشرك والتدمير في وطننا العزيز، وفي مصر الشقيقة وفي كل بلد.

وأسأل الله أن يحفظ علينا ديننا وأمننا، وأن يرد عنا كيد الكاذبين، وإرهاب المتدينين، وضلال الحزبيين، وأن يحفظ لنا مليكنا وقائدنا، ويديم عليه نعمه، ويسبغ عليه فضله، ويلبسه بوجاس الصحة والعافية، كما أسأله أن يجمع كلمة المسلمين ويوحده صفهم ويعيذهم من الأوهام إنه سميع مجيب.

* وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

حالة الخلاف على أسس العتب لا على قواعد الخصومة."

كلمات بسيطة عبرت عن طبيعة العلاقة وعمقها، فهي لا تعدو العتب الذي يقرب ولا يفرق، ويبدو الجرح ولا يدميه، فالمملكة لا تخاصم جيرانها وإنما تقدر ظروف الجميع وتحصر الخلاف في حدود العتاب.

وهكذا تجلج حكمة وحكمة القائد وبعد نظره المتمثل في وأد الفتنة وقطع طريقها وسد كافة نرائعها ووسائلها، والعمل على لم الشمل ورب الصدع وقطع الطريق على أرباب الفتن وأهل السوء والفساد من أعداء الأمة في الداخل والخارج.

إن هذا الموقف التاريخي العظيم من خادم الحرمين الشريفين لرأب الصدع بين الشقيقتين مصر وقطر، انطلاقاً من قواعد الشرع الحنيف

ومن مقاصده في حفظ الأمة الإسلامية في دينها، وأمنها، ووحدتها، وتآلفها، وبعدها عن الفرقة والتناحر والتنازع، امتثالاً لأمر الله عز وجل في قوله: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَقوله سبحانه: (وَلَا تَخَازِعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحَكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) وقوله جل وعلا (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)..

ويتكلم المعسى بالنجاح، ويعود الود والصفاء والتصالح بالقلوب قبل الأيدي، ويصدر البيان من الديوان الملكي حاملاً الخير للأمة، وقاطعاً لكل سبيل المفسدين المترصين بالأمة فيما جاء في هذا لبيان المبارك:

(... وحرصاً من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - على اجتماع الكلمة وإزالة ما يشوب العلاقات بين الشقيقتين جمهورية مصر العربية ودولة قطر في مختلف المجالات وعلى جميع المستويات، وبخاصة ما تتيحه وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، المرتبطة بالدولتين الشقيقتين.

وتأكيداً على ما ورد في اتفاقي الرياض - البحرين في ١٩/١١/٢٠١٤م الموافق ١٢/١٢/٢٠١٣م وفي ٢٣/١١/٢٠١٤م الموافق ١٦/١١/٢٠١٤م - المنضمين التزام جميع دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بسياسة المجلس لدعم جمهورية مصر العربية والإسهام في أمنها واستقرارها.

وتقديراً من قبل الأشقاء في كلتا الدولتين لمبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود التي دعا فيها أشقائه في كلتا الدولتين لتوطيد العلاقات بينهما وتوحيد الكلمة وإزالة ما يدعو إلى إثارة النزاع والشقاق بينهما إن شاء الله - وتلبية لدعوته الكريمة - أيد الله - للإصلاح، إذ الإصلاح منبعه النفوس السامية والكبيرة فقد استجابت كلتا الدولتين لها للثقافة التامة بما انطوت عليه من مضامين سامية تصب في مصلحة الشقيقتين جمهورية مصر العربية ودولة قطر وشعبيهما الشقيقتين.

وقد أبدت المملكة العربية السعودية مباركتها للخطوات الجارية التي من شأنها توطيد العلاقات بين جمهورية مصر العربية ودولة قطر ومن ضمنها الزيارة التي قام بها المبعوث الخاص لسمو أمير دولة قطر الشيخ محمد بن عبدالرحمن آل ثاني إلى مصر.

كما تؤكد المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود - يحفظه الله - دعمها وحرصها على فتح صفحة جديدة بين البلدين ليكون كل منهما - بعد الله - عوناً للآخر في سبيل التكامل والتعاون لتحقيق المصالح العليا لأمتينا العربية والإسلامية، أملاً - يحفظه الله - من جميع الشرفاء من الأشقاء من علماء ومفكرين وكتاب ورجال إعلام بكافة أشكاله إلى الاستجابة لهذه الخطوة ومباركتها؛ فمهم العون - بعد الله - لسد أي ثغرة يحاول أعداء الأمة العربية والإسلامية استغلالها لتحقيق مآربهم).

مضامين واسعة، وموقف تاريخي ينبع من الدين